

لمن الذكرى ولمن العيد؟

غداً نتذكر شهداءنا، وعند وضع إكليل الزهر على ضريح الجندي المجهول، وبين دقيقة الصمت ومعزوفة الموتى، على كلّ لبناني أن يقفَ مع ذاته وقفة تأمل، ويسأل نفسه عمّا بقي للذكرى من معنى وعمّا بقي في ضمائرنا من وفاء لهم، وذلك من خلال وفائنا للقيم التي من أجلها سقطوا.

وبعد غدٍ يُحتفل بعيد الجيش، وعند مشاهدة متصدّري صالونات الاستقبال ووفود المصطفيين لتقديم التهنية، على كلّ لبناني أن يقف نفس الوقفة مع ذاته ويتأمل ويسأل أيضاً عما إذا بقيت للعيد بهجته وأفراحه، وعمّا بقي في ضمائرنا من رموزه ومعانيه.

لا شكّ أنه في عهود الانحطاط تكثرت البدع والمفارقات ولكثتها في لبنان بلغت نوعاً وكماً يفوقان قدرتنا على التخيل والاحتمال، فكيف يمكن أن يكرّم قاتل من استشهد على يده وأن ينشد قيماً حطّمها، وما زال يحطّمها كلّ يوم بمتابعته حملة الاضطهاد ضدّ المدافعين عنها.

أن يلغى الاحتفال بعيد الجيش في السياق الحالي الذي يعيشه لبنان، وأن يتوقف الاحتفال بذكرى الشهداء، أشرف بكثير للبنان الشعب والتاريخ من تزوير معاني الذكرى ومعاني العيد. وهل يجوز للبنان أن يحتفل بعيد المؤسسة العسكرية دون أن يجرؤ أحد على المطالبة بعودة ما ترمز إليه هذه المؤسسة من سيادة مفقودة واستقلال ضائع؟ والأقدر من ذلك أن يتقدّم من محتّئيه بمراسم الولاء والخضوع.

إنّ جميع المناسبات الكبرى، السياسية منها والوطنية، أصبحت نقاط انطلاق للتلاعب بمشاعر اللبنانيين وتحويلها من عفويتها اللبنانية الصحيحة إلى مشروع ولاء للمحتّئين، فسياسة الصداقة تجاه سوريا وحكامها، مهما بلغ شأنها، لا يجوز أن يصبح التعبير عنها في الخطاب الوطني والسياسي، كالبسملة أو إشارة الصليب، مقدّمة لكلّ صلاة. فخطاب القسم والبيان الوزاري وأمر اليوم، ليست صلوات شكر وتبجيل لأي سلطة أو مرجعية خارجية وحشوها بهذه المضامين يحولها عن غايتها الأساسية، فتصبح نوعاً آخر من شعر المناسبات. إن جيشنا الذي يحمل رسالة الشرف والتضحية والوفاء ليس بحاجة لأي جيش آخر على أرضه وإذا ما كنا بحاجة إلى مساعدة فتكون برحيل جميع القوى الغربية عن أرضنا. إن الجيش اللبناني وحده هو الأدرى بشان البيت، وهو الأكثر عناية بأهله من أي جيش آخر، شقيقاً كان أم صديقاً. و الاخوة التي أتوا باسمها إلى لبنان فليأخذوها معهم وليرحلوا عنا وعن أرضنا، فقد سئنا المخادعة والرياء والابتزاز.

ولن نقبل بعد اليوم أن يقف على أضرحة شهدائنا من زحف أمام من قتلهم وهم يدافعون عن أرضهم وأهلهم، كما لن نسمح باغتصاب ذكراهم لتصبح مناسبة لتوزيع براءات الذمّة للسقّاحين، ونجدّد عهد الوفاء بالمحافظة على إرث الكرامة الذي دفعوا حياتهم ثمناً له، وسنتابع نضالنا حتى تحرير جيشنا من التبعية، ويعود وحده السيد على أرضه والضامن لاستقرار الوطن وحامي بنيه، عندئذٍ، وبعد إعادة النظر بما حدث لغاية الآن، ووضع حدٍ للعلاقات الغوغائية مع الجيش السوري، يمكن الاحتفال بعيد الجيشين معاً.